جريدته الجوائب » التى بدأ يصدرها فى ١٨٦٢ . كما يرى أن من العسير أن يطلق عليه مفكر « فكل كتاباته « انطباعات » و«مواقف » . « وهذه الانطباعات وهذه المواقف بلا جدال واضحة غاية الوضوح ، وهى فى أكثر الأحوال معبَّرٌ عنها تعبيراً نارياً أو تعبيراً لاذعاً ، مما يلزمنا باعتباره قوة محركة ومؤثرة فى العقل العربى إبان القرن التاسع عشر » [٣] ، [٤] . فإذا كان لويس عوض قد استبعد منه صفة المفكر الفيلسوف ، « لأن الفكر لا يسمى فكراً إلا إذا بلغ درجة من التجريد والنظر فى الكليات تجعله يتماسك فى نظرة شاملة ، والنظرية الشاملة كالفكر الكلى هى آخر ما نجده فى آثار فارس الشدياق » [٤] ، فإنه وضعه على الكفة الأخرى المقابلة للطهطاوى الذى قال عنه إنه أعظم فيلسوف فى العربية بين عهد محمد على وعهد اسماعيل ، أما الشدياق فوصفه بأنه أعظم أديب فى العربية خلال الفترة ذاتها » . [٥]

والحقيقة أن الشدياق شأنه شأن رجال عصره المثقفين أخذ من كل شىء بطرف وحمل همومه الشخصية والطائفية وساح بهما فى أرجاء الأرض التى أتيح له أن يسبح فيها مستفيداً بتلك الخاصية التى ميزته ويمكن تسميتها بلغة العصر الحديث : « الذكاء الاجتماعى وفن العلاقات العامة » . أما تأثيره الأدبى فهو جمعه بين اللغة والعمل على إحياء تركيب ومفردات مهجورة ؛ ونقل صورة العصر كما رآها فى الغرب بخاصة إلى قرائه ، ولكنه لم